مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

الإيديولوجيت البلاغيت وأثرها في بناء الأحكام النقديت في التراث النقدي والبلاغي العربي- قراءة ثقافيت-

Rhetorical ideology and its images in the Arab critical and rhetorical heritage- Cultural Reading

د. عصام بن شلال
issam.benchellel@gmail.com
جامعت باتنت 1

تاريخ الإرسال: 21_11_2019 تاريخ القبول: 03_04_2020

الملخـــص:

يحاول هذا البحث توضيح مفهوم الإيديولوجية البلاغية وتحكمها في الذوق الأدبي في تراثنا النقدي والبلاغي العربي، وتوضيح دورها في بناء بعض المواقف النقدية المتحيزة الذوقيا، وغير القائمة على التعليل والإنصاف، وهذا البحث لا يسلط الضياء على السلبيات بقدر ما يسعى إلى تقديم تحليل ثقافي للظاهرة وتفكيك الإيديولوجية البلاغية، والوقوف على الأنساق الثقافية التي تضمرها المواقف النقدية التي تسعى لتكريس مبدأ الهيمنة البلاغية والذوقية، وهذه القراءة الثقافية حاولت التأسيس لمفهوم الإيديولوجية البلاغية وهو مفهوم جديد وأصيل في الدراسات التي تتناول التراث النقدي والبلاغي العربي، كما كشفت الدراسة عن أثر هذا المفهوم في تحديد مكانة الشعر والشعراء بين العصرين الأموي والعباسي وكيف نزلت مكانتهما في الثقافة العباسية التي ظلت تمجد أشعار الأوائل، وكشف البحث عن محاولة الإيديولوجية البلاغية المشرقية الهيمنة على الذوق المغاربي والأندلسي ومحاولة تهميش أشعار أهل الأندلس وموشحاتهم حتى من قبل

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

النقاد الأندلسيين الذين تمكنت منهم هذه الإيديولوجية، وتطرق البحث إلى أثر العصبية القبلية في المفاضلة بين الشعراء القدماء وتحيز كل إيديولوجية إلى شعراء معينين يستجيبون لذوقها يخضعون لنسقها الثقافي واللغوي والسياسي.

الكلمات المفتاحية: الإيديولوجية البلاغية، الهيمنة، النقد، الشعر، الشعراء، النسق الثقافي.

Abstract:

This research attempts to clarify the concept of rhetorical ideology and its control of the literary taste in our arab critical and rhetorical heritage, and to clarify its role in building some tastefully biased critical positions, which are not based on reasoning and fairness, and this research does not shed light on the negatives as much as it seeks to provide an analysis Cultural phenomenon and the dismantling of rhetorical ideology, and to identify the cultural patterns contained in critical positions that seek to enshrine the principle of rhetorical and taste dominance, this cultural reading tried to establish the concept of rhetorical ideology, which is a new and original concept in the studies dealing with The study also revealed the impact of this concept in determining the place of poetry and poets between the Umayyad and Abbasid periods and how their place in the Abbasid culture that continued to glorify the poetry of the early, and revealed the research of the attempt of the rhetorical ideology of the Levantine dominate the taste The research touched on the effect of tribal nervousness in the trade-off between ancient poets and the bias of each ideology to certain poets who respond to its taste sought to follow its pattern. Cultural, linguistic and political.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

Keywords:
rhetorical ideology, hegemony, criticism, poetry, poets, cultural pattern.

المقدمـــة:

رمى كثير من النقاد المعاصرين الخطاب النقدي والبلاغي العربي القديم بالوقوع في الانطباعية في كثير من أحكامه النقدية نظرا لاتكاء أغلب النقاد العرب القدماء على الذوق في تلقيهم للشعر وبناء مواقفهم منه، نقول هذا دون تعميم لأنه كان من النقاد والبلاغيين القدماء من حاولوا تعليل الظاهرة الشعرية عن طريق معايير كلاسيكية مثل معايير نظرية عمود الشعر العربي، والبديع، وبراعة الاستهلال، وحسن التخلص، وغير ذلك من المعايير النقدية والبلاغية التي تبقى محاولة لجعل الخطاب النقدي والبلاغي أكثر علمية حتى وإن كنا نعتبرها في عصرنا هذا قديمة، فإنها تبقى محاولات علمية محمودة إذا ما وضعناها في سياقها الثقافي والتاريخي، ليقيننا بأن النظرية النقدية متجددة باستمرار طالما أنها تحاول مواكبة الإبداع الأدبي الخاضع لسنة التجديد المستمر، كما أن النقد يكتسب في كل عصر آليات مستحدثة تسمح بإعادة قراءة النصوص القديمة والحديثة بشكل مختلف.

وهذا البحث لا يطرح مشكلة الانطباعية بالنمط المعتاد بل يحاول تعليل تلك الأحكام الانطباعية وتبيين دور الإيديولوجية البلاغية في تأسيس الأحكام النقدية المتحيزة، وأثر العصبية في توجيه الذوق الأدبي وتكريس شعر دون آخر.

فما الإيديولوجية البلاغية؟ وما أثرها على الذوق السائد؟ وهل كانت هنالك مركزية بلاغية مشرقية؟ وكيف تم تكريسها؟ وما دور العصبية القبلية في تفضيل الشعراء القدماء؟

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

اعتمد في هذا البحث على مقولات النقد الثقافي ولاسيما مقولة الهيمنة لأنطونيو غرامشي للكشف عن الأنساق الإيديولوجية المضمرة التي تؤسس الأحكام النقدية على التحيّز، والنقد الثقافي يحاول فضح هذه الأنساق المضمرة وتفكيكها.

وتطرقت في هذا البحث لمفهوم الإيديولوجية البلاغية الذي حاولت التأسيس له، وبينت دور الإيديولوجية البلاغية في تحديد مكانة الشعر والشعراء بين الدولة الأموية ودولة بني العباس، وأثر في المركزية البلاغية المشرقية في المفاضلة بين الشعر المشرقي والشعر المغاربي والأندلسي، وثم كشفت عن أثر العصبية القبلية في المفاضلة بين الشعراء.

يهدف البحث إلى تسليط الضياء على ظاهرة سلبية أثرت بشكل سلبي على صورة النقد العربي القديم ولكن دون تعميم – لأن التعميم يدل على الجهالة – كما أسعى إلى قراءة التراث النقدي والبلاغي بشكل مختلف للخروج على التقليد السائد في الدراسات التي تتناول ذلك التراث الذي ما يزال مفتوحا على مختلف القراءات ومتجاوبا معها.

– مفهوم الإيديولوجية البلاغية:

قبل التطرق لمفهوم المصطلح المركب (الإيديولوجية البلاغية) ينبغي أن نوضح مفهوم الإيديولوجية التي تحدد أي نظام شامل للفكر السياسي (مثل: الفاشية، والاشتراكية، والليبرالية الجديدة...) ويتم التعبير عنها أو دعمها ضمنيا من قبل الأفراد والمؤسسات، وتمَّ استخدام هذا المصطلح أول مرة في 1970م في فرنسا وانجلترا لتحديد الفكر الفلسفي الحديث، وكان نابوليون بونابرت هو الذي نشر استخدامه في خطاباته السياسية، في هجومه على مبادئ التنوير المفتعلة من قبل الديمقراطيين، حيث حمّله بونابرت بدلالات التحقير التي ظلت إلى اليوم، ويدن المصطلح بالكثير لكتابات كارل ماركس حيث يؤكد ماركس بأن الإيديولوجية تتوافق مع الأفكار المهيمنة على أي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

مجتمع، وتتجلى هذه الأفكار في جانب من جوانب ثقافته وتنظيمه الاجتماعي، وفي قوانينه وسياساته ودينه وفنه وما إلى ذلك... وهذه الأفكار من نتاج الطبقة الحاكمة، وتعمل على إضفاء الشرعية على ثروتها وقوتها، كما يُعرّف ماركس الإيديولوجية بأنها السعي لعرض أفكار هذه الطبقة الحاكمة والمهيمنة على أنها أفكار تخدم المصالح العامة للمجتمع والأمة ككل؛ ولذلك ينبغي أن نتوقع من الأعمال الأدبية المنتجة في المجتمعات الرأسمالية، مثلا، أن تبرر وتدعم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تعود بالفائدة على الطبقة الحاكمة، ويصر النقاد الماركسيون على أن الأدب الذي كتبه الأدباء البرجوازيون يعرض أولا وقبل كل شيء افتراضات وقيم البرجوازية.[1]

فالإيديولوجية هي منظومة ثقافية وفكرية متكاملة خاضعة للسلطة السائدة التي تفرض نمطها الثقافي والفكري والأدبي على الذين يعيشون في كنفها، لتكريس مبدأ الهيمنة الإيديولوجية على كل مناحي الحياة، وارتبط مصطلح الهيمنة –hegemony بالمفكر الماركسي أنطونيو جرامشي (1891–1937) الذي اعتبر – وهو يطور رؤى ماركس الخاصة — بأن الصعود الاقتصادي والسياسي لفئة معينة يكون من خلال تحقيق الهيمنة الثقافية والفكرية، وللمثقفين المتعاطفين مع هذه الفئة وظيفتهم التنظيمية، بحيث يعبرون عن وجهات النظر العالمية للطبقة، وبالتالي يمنحونها تماسكا ووعيا بأهدافها، وذلك بتعزيز نسبة المؤيدين لأفكار الطبقة المهيمنة، ولهذا سعى الثوريون الاشتراكيون لتطوير هيمنة بديلة.[2]

[1] – J. A. Coddon: A Dictionary Of Literary Terms and Literary Theory, Wiley-Blackweel, UK, 4e, 2013, p353.
[2] –Ibid, pp325-326.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

والإيديولوجية هنا تشبه العصبية التي اعتبرها ابن خلدون من شرطا أساسيا من شروط قيام الملك والدولة عامة، كما اعتبر أن ضعف العصبية يؤدي تلاشي الوطن وضعفه ضاربا المثل بالأندلس[1]، والإيديولوجية تعني التحيّز لعرق أو قبيلة أو دين أو مذهب ما وجعل ذلك التحيز مهيمنا على كل المجالات السياسة والثقافية والأدبية.

أما الإيديولوجية البلاغية فتعني التحيّز ذوقيا لشاعر دون آخر لاعتبارات غير فنية خارجة عن الإبداع الشعري، ويتجلى ذلك في اهتمام الخطاب النقدي في عصر من العصور بالشعراء والأدباء الذين يدعمون الإيديولوجية المهيمنة بغض النظر عما إذا كانوا مبدعين حقا، وتهميش الشعراء والأدباء الذين يخرجون على النسق السائد موضوعيا أو جغرافيا أو عرقيا...

وقد ذهب ابن خلدون إلى القول باختلاف الذوق من بيئة إلى أخرى، على حسب الإيديولوجية الحاضنة له، في قوله: "واعلم أن الذوق من معرفة البلاغة منها كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة وكثر استعماله لها ومخاطبته بين أجيالها حتى يُحصِّلَ ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب لأن اللسان الحضري وتركيبته مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته وفي خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم آيات للعالمين."[2]

[1]– عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، تحقيق: أحمد الزعبي، دار الهدي، الجزائر، ط 2009، ص184.

[2]– أبو العباس المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، ط 1939، 227/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

ويدل كلام ابن خلدون على وجود «إيديولوجية بلاغية» تتحكّم في الأذواق، وإن كان رأيا ينطبق أكثر شيء على الشعر (النبطي/ الشعبي/ الملحون) الذي يختلف من بلدة إلى أخرى، إذ لكلّ قومٍ لهجتهم وبلاغتهم فالشعر الشعبي عندنا في الجزائر – مثلا – تختلف بلاغته من منطقة إلى أخرى، فهو عند أهل الجنوب يختلف عنه عند أهل الغرب، بل قد تجد أنّ ما يُستَحْسُن منه في الجنوب لا يكون مُسْتَحَسنا عند أهل الشمال – مع نسبية هذا الحكم – ولعلّ نفس الشعر الشعبي الذي يطربُ له أهلنا ويُعجبون به لو قُرئ على مسامع أهل الشعر النبطي من عرب الخليج لما أعجبهم ولا أطربهم سماعُه، وكذلك لو ألقينا الشعر النبطيّ على أسماع أهلنا في الجنوب الجزائري، في حين قد يطرب له من طال سماعه له وكثرت مخالطته للغة القوم من أهل الخليج، وهذا يعني بأنّ الذوق يُكتسب بالرياضة وكثرة السماع والمخالطة للغة الشعر المسموع، وهذا كفيل بإسقاط الحدود البلاغية الإيديولوجية التي لا يمكن إنكارها.

وكذلك في اللسان العربي الفصيح نلتمس سطوة الإيديولوجية البلاغية التي تجعل الأذواق تتغير حسب الأقاليم، فأهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى الذي يعتبره البصريون غير فحل ويفضلون عليه امرأ القيس، أما أهل الحجاز والبادية فكانوا يُقَدّمون زهيرا والنابغة[1]، وهذا ما كان يقصده الفرزدق، حين قال: أنا أشعر تميم عند تميم[2]، ليقينه بأن التغالبة يفضلون عليه الأخطل لأنه منهم، وهذا يبرز دور العصبية القبلية في تفضيل الشعراء.

[1]– الجمحي (ابن سلام): طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، ط1، 1980، 52/1.

[2]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث– القاهرة، ط: 2006، 81/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

– مكانة الشعر والشعراء بين بني أمية وبني العباس:

حين قال ابن سلام في طبقاته بأن الشعر تنقّل بين قبائل العرب، ثم آلَ إلى تميم، ولم يزل فيهم إلى عصره[1]، فإنه كان يقصد الشعراء الذين مدحوا بني أمية، ومنهم جرير والفرزدق وغيرهما، أما الأصمعي فقد صرح بذلك حين قال: "خُتِم الشعرُ بابن هرمة، **فإنه مدح ملوك بني مروان**، وبقي إلى آخر أيام المنصور"[2]، مع العلم بأن ابن هرمة كان من هذيل وليس من تميم، ولكن ما يعنينا هو اعتقادُ أغلب النقاد اللغويين – خاصة – بأن الشعر قد ذهب بذهاب الدولة الأموية التي تختلف عن الدولة العباسية العجمية الخراسانية بأنها كانت عربية أعرابية، حسب تعبير الجاحظ، "والعرب أوعى لما تسمع، وأحفظ لما تأتي، ولها الأشعار التي تقيّد عليها مآثرها، وتخلّد لها محاسنها. وجرت من ذلك في إسلامها على مثل عادتها في جاهليتها، فبنت بذلك لبني مروان شرفا كثيرا ومجدا كبيرا، وتدبيرا لا يحصى"[3].

وواضح بأنّ هذه الإيديولوجية البلاغية الأموية تربط جودة الشاعر بكفاءة المتلقّي العربيّ الأمويّ، للحفاظ على الموروث الشعري كما هو، خاصة وأنّ الأغراض والأساليب الشعرية في العصر الأموي كانت امتدادا للشعر الأوّلِ، ومحاكاة لأشعار السابقين، وإحياءً للموروث الشعريّ الجاهليّ الذي خبت ناره في عصر صدر الإسلام،

[1]– الجمحي: طبقات فحول الشعراء، 40/1.

[2]– عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف–مصر، ط2، 1968، ص20.

[3]– الجاحظ: البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة خانجي – القاهرة، الطبعة السابعة، 1998، 366/3.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

فكانت الإيديولوجية الأموية بعثا للعصبيات القبلية التي مثلها شعراء النقائض من أمثال (جرير والفرزدق التميميان والأخطل التغلبيّ...)؛

ولأن الشعر الأمويّ كان شبيها بالشعر الجاهلي – لاسيما طريقة زهير في المدح، والحطيئة في الهجاء في أغراضه وأساليبه، فقد تم تقديمه على الشعر العباسي، مما شكلّ طريقة شاميًّة في الشعر كانت امتدادا لمدرسة المحككين – عبيد الشعر كما لقبهم الأصمعي – التي تعتني كثيرا بالمتلقي لضمان فهمه للنص في حالتي المدح أو الهجاء، ويمثل هذه الطريقة الشامية البحتريّ كما سوف نبيّن فيما بعد.

كما نالَ حظَّ التقديمِ ووسامَ الفحولةِ الشعراءُ الذينَ مدحوا ملوكَ بني أمية وأجادوا، كعديّ بن الرقاع، والأخطل وجرير وغيرهم، وحتى التزامُ ذي الرمة بمذهب الأوائل لم يشفع له، لأن طبعه لم يسعفه في مدحهم، وكذلك تمّ إبعاد ابن أبي ربيعة من دائرة الفحول لأنه امتنع عن مديحهم[1].

وحتى الخليفة العباسيّ الْمَأْمُون كان يتعصّب للأوائل من الشُّعَرَاء وَيَقُول: "انْقَضى الشّعْر مَعَ انْقِضَاء ملك بني أميَّة"[2]؛ لأن الثقافة الأموية تمثل الشعر العربي الخالص الذي لم تَشب لغته شوائب الكلام الأعجمي المولّد الخارج على طريقة الأعراب في الكلام.

وفي سياق تكريس أموية الشعر قال أبو إسحق إبراهيم بن العباس: "إن كانت دولة بني أمية حلبة الشعراء فدولة بني هاشم حلبة الكتاب"[1]، فالمنزلة التي كان يحتلها

[1]– أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ت: إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 2008، 86/1.

[2]– أبو الفرج النهرواني: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ت: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية– لبنان، ط1، 2005، ص706.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

الكتاب في العصر العباسي أسمى من أي منزلة قد يحظى بها أي شاعر، ومن الكتاب من أصبح وزيرا أو نال مناصب حساسة في الدولة، لاشتغال أولئك الكتاب بالدواوين التي تدار بها شؤون العامة والخاصة، والظاهر بأنّ حكم إسحق بن العباس يستند إلى أسس نفعية (مادية) وليست إبداعية.

وقد تجاوز ابن المعتز الإيديولوجية البلاغية الأموية في كتابه: "طبقات الشعراء"، ولكنه لم يفارق إيديولوجيته العباسية حين لم يذكر من الشعراء إلا من "مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس، ليكون مذكوراً عند الناس"[2]، وهكذا فكك إيديولوجية أموية بلاغية تحكمت كثيرا في الفكر النقدي والبلاغي، ليؤسس لأخرى عباسية، كما أنه لم يترجم فيه لابن الرومي رغم أنه كان من أكثر الشعراء ابتداعا واختراعا بتعبير ابن رشيق، ولكنه كان مقصرا في مدح بني العباس إذ غلب عليه القول في الهجاء[3] فأهمله ابن المعتز كما أهمل ذكر دعبل الخزاعي الذي اشتهر بهجائه لملوك بني العباس[4].

وعلى هذا الأساس أعتقد بأن تأريخ الشعر العرب حسب العصور السياسية فيه نسبة كبيرة من الصواب، لأن السياسة كانت على اتصال وثيق بالشعر الذي كان يمثل

[1]– الصولي (أبو بكر): أخبار أبي تمام، ت: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير إسلام الهندي، قدّم له: أحمد أمين، منشورات دار الآفاق الجديد – بيروت، الطبعة الثالثة، 1980، ص109.

[2]– ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص18.

[3]– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل–لبنان، الطبعة الخامسة، 1981، 172/2.

[4]– المصدر السابق72/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

الأدب الرسمي والوسيلة الإعلامية التي تلمع صورة رجال السياسة وإلا لما أنفقوا كل تلك الأموال والدراهم الذهبية على المادحين من الشعراء.

– الهيمنة البلاغية بين المشرق والمغرب (الأندلس):

تتجلى هذه الإيديولوجية البلاغية عند المعري حين اعتبر شعر ابن هانئ الأندلسي رحى تطحن قرونا، لأجل قعقعة في ألفاظه، زعم أنّه لا طائل من ورائها، وهو الحكم الذي رأى فيه ابن خلكان عدم إنصاف[1]، مع العلم بأن المغاربة كانوا يُقدّمون ابن هانئ على كل متقدم ومتأخر، بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق[2]، لكن الذوق المشرقي لدى معرّي جعله لا يستحسن شعر ابن هانئ الذي استحسنه الذوق المغاربي.

ومن النقاد الأندلسيين (المغاربة) الذين خضعوا للمركزية البلاغية المشرقية، ابن بسام الشنتريني في ذخيرته، حين غض الطرف عن أشعار أهل المغرب والأندلس وموشحاتهم لأنها مخالفة لطرق المشارقة الأوائل[3]؛ ومشى حازم القرطاجني على أثره في الإذعان لتلك المركزية البلاغية التي صرفت تفكيره النقديّ ونظره البلاغي عن أشعار

[1]– ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1978، 424/4.

[2]– نفسه.

[3]– ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1975، 44/7.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

وموشحات وآداب أهل الأندلس والمغرب، وأخذ ينعى على شعراء المشرق عدولهم عن طريق الفحول من الشعراء القدماء[1].

فإذا كان حازم يتعايش بجسمه في الأندلس (قرطاجنة) والمغرب (الدولة الحفصية) ويعيش بعقله وذوقه البلاغي في المشرق، فمن الطبيعي أن يشعر بغربة بلاغية وذوقية في المغرب والأندلس، وإلا فكيف أهمل الشعراء والأدباء مبدعين من أهل الأندلس والمغرب الذين كان يَشْهَدُ لهم أهل المشرق بالبلاغة والفصاحة والإبداع، مثل: ابن زيدون (463هـ)، والمعتمد بن عباد (488هـ) وابن حمديس الصقلّي (527هـ)، وابن أبي الخصال (540هـ)، وابن بقي القرطبي (540هـ) صاحب الموشحات البديعة، وغيرهم من الشعراء والأدباء والوشاحين المبدعين.

بل وكيف أهمل حازم شاعرا مثل ابن عبد ربه الأندلسي؟، وهو من الإبداع والشهرة بمكان، وكان المتنبي من المعجبين بشعره، والشغوفين بلقائه، وهو الذي قال مرة لأحدهم: "ألا أنشدني لمليح الأندلس– يعني ابن عبد ربه– فأنشده:

يـــا لُؤْلُؤًا يَسْبِي العُقُولَ أَنِيقَا ... وَرَشًـــا بتقطيعِ القلوبِ رَفيقا
مـــا إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بِمثلِه ... دُرًّا يعودُ من الحياءِ عَقيقا
وإذا نظرتُ إلى محاسنِ وجهِهِ ... أبصرتُ وَجْهَكَ في سناهُ غريقا
يا مَنْ تقـــطعَ خَصرُه من رِقَّةٍ ... ما بالُ قلبكَ لا يكونُ رقيقا

فلما أكمل إنشاده استعادها منه، ثم صفق بيديه وقال: يا ابن عبد ربّهِ لَقَدْ يأتيكَ العراقُ حَبْوًا"[1]؛ فالمتنبي تجاوز قيود الإيديولوجية البلاغية إلى رحاب المطلق الشعريّ،

[1]– حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط3، 1986، ص10.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

فالجودة هي مقياس التفضيل وليس هوية الشاعر ولا قبيلته ولا حدوده الجغرافية، فأبو الطيب بصير بجوهر الشعر، عليم بمكامن الفنّ، ولا يخدع عقله ولا ذوقه بالتورّط في تلك الإيديولوجية البلاغية ذات التصوّر القاصر للأدب، لأنه شاعر إنساني بذوقٍ موضوعيّ وتصوّر جماليّ للشعر.

ومن سلبيات الإيديولوجية البلاغية أنها تُضيّق من أفق المتلقي، ولا تجعله مُهَيَّأً لنقد كل الشعر (والأدب)، لأنها تجعل المتلقي يفضل نوعا من الشعر (والأدب) على آخر لأسباب غير شعرية (ولا أدبية)، وهذا ما يدعو إلى تقديس المؤلف أو بيئته الأدبية أو تدنيسه استنادا لأحكام جاهزة مسبقا.

وقد ألقت ظاهرة الإيديولوجية البلاغية بظلالها على علاقات التواصل المعرفي والإبداعي بين المشرق والمغرب (الأندلس)، وإلا فكيف أهملت كتب النقد والبلاغة المشرقية شاعرا مغربيا (جزائريا) مثل بكر بن حمّاد التاهرتي الذي استطاع أن يجد له مكانا رفقة أبي تمام في بلاط الخليفة العباسي المعتصم؟، حتى إنّ أبا تمام قد اعترف له

[1] – ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1993، 467/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

بالتمكن والتفوّق بعد هجائه للشاعر الهجّاء دعبل الخزاعيّ[1]؛ كما أبدى ابن حزم استياءه وتبرمه من تكريس هذه المركزية المشرقية، في قوله[2]:

أنا الشمسُ في جوِّ العلومِ منيـــرةً ... ولكـــنَّ عَـــيْبي أنَّ مَطْلَعِيَ الغرْبُ

ولو أنّني من جانب الشرق طالعٌ ... لجدَّ على ما ضاعَ مِنْ ذكريَ النّهْبُ

وكان الشاعر الأندلسي يحيى بن الحكم الغزال من الذين حاولوا كسر هذه الإيديولوجية البلاغية والكشف عن مدى تهافُتِها، وأنها لا تفضّل الأشعار لاعتبارات فنية وجمالية، وإنما تستند في حكمها على الشعر لأمور خارجية وذاتية وضيقة الأفق، وذلك، حين دخل الغزالُ العراقَ، "بعد موت أبي نواس بمدة يسيرة، فوجدهم يلهجون بذكره، ولا يساوونَ شعرَ أحدٍ بشعره، فجلس يومًا مع جماعة منهم فأزْرَوْا بأهلِ الأندلسِ، واستهجنوا أشعارهم، فتركهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس، فقال لهم: من يحفظ منكم قوله: **ولّما رأيت الشَّرْبَ أَكْدَتْ سماؤُهم ... تأبّطتُ زِقّي واحتبستُ عَنائي**

فَلَمَّا أتيتُ الحـــــانَ ناديتُ رَبَّهُ ... فثابَ خَفِيفَ الروحِ نَحْوَ نِدَائي

قليلَ هجوعِ العينِ إلَّا تَعِلّةً ... عَلَى وَجَـــلٍ مِنّي وَمِنْ نُظَرَائِي

[1]– قال بكر بن حماد مدافعا عن الخليفة المعتصم، وواصفا كيف عاتبه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي على هجائه المقذع لدعبل: (من الطويل)

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه ... ويمشي على الأرض العريضة دعبل

أما والذي أرسى ثبيرا مكانه ... لقد كادت الدنيا لذاك تُزَلْزَلُ

وعاتبني فيه (حبيبٌ) وقال لي: ... لسانك محذور وسمك يقتل

وإنّي وإن صرّفتُ في الشّعر منطقي ... لأنصف فيما قلت فيه وأعدلُ

[2]– المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1، 1997، 81/2.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

فقلتُ: أَذِقْنيها فلمَّا أذاقَها ... طَرَحْـــتُ عَليهِ رَيْطَتِي ورِدائي
وقلـــت: أعرني بذلةً أستَتِرْ بها ... بذلتُ لهُ فيها طلاقَ نسائي
فوالله ما بَـــرَّتْ يَميني ولا وَفَتْ ... له، غَيْرَ أنّي ضامنٌ بوفائي
فأُبْتُ إلى صَـــحْبي ولم أَكُ آيِـــبًا ... فكـــلٌّ يُفَدِّيني وحُقَّ فِدَائي!

فأعجبوا بالشعر، وذهبوا في مدحهم له، فلمّا أفرطوا قال لهم: خفضوا عليكم، فإنّه لي، فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التي أولها:

تَدارَكْتُ في شُرْبِ النّبيذِ خَطَائِي ... وفارقتُ فيه شيمَتِي وحَيَائي

فلمّا أتم القصيدة بالإنشاد خجلوا، وافترقوا عنه"[1]؛ فما أشبه موقف الغزال بموقف الطوسي مع ابن الأعرابي، حيث إن خدعة المؤلف تكشف زيف حكم المتلقّي، وتفضح تحيّزه الإيديولوجي، ولا شك في أن نقد النقد يسعى حثيثا إلى تجاوز هذه المواقف النقدية ذات الأفق المحدود، ويجتهد في سبيل تخليص الخطاب النقدي من أي إيديولوجية بلاغية ستوقعه في مواقف نقدية والبلاغية محرجة، تعدلُ به عن سبيل الصواب في تقييم النصوص.

لكنَّ هذه الأمثلة التي سقناها حول ظاهرة القطيعة البلاغية بين المشرق والمغرب (الأندلس) لا تعني بأنّ الذوق المشرقي كان على قطيعة تامة مع الذوق المغربي (والأندلسي)، خاصة إذا علمنا بأنّ أوّل من اعتنى بالموشحات المغربية والأندلسية وحاول أن يستنبط قوانينها هو ابن سناء الملك الذي سبق أهل المغرب في ذلك، واعتبر أنّ

[1] – المصدر السابق، 260/2 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

الموشحات مما قارع به أهل المغرب أهل المشرق، وغادر به الشعراء من متردّم، حتى صار المغرب بها مشرقا لشروقها بأفقه.[1]

وهذا الاعتراف صادر عن ذوق جمالي مفرغ من الهوى والإيديولوجية المشرقية، بحيث يكون الإبداع الفنيّ هو مقياس المفاضلة، كما لا يخفى علينا بأن لانفتاحِ البلاغةِ المصرية على بلاغة المغربية – في تلك العهود – الدور البالغ في ذلك التلاقح البلاغي الذي لا يكترث بالحدود الجغرافية والإيديولوجية، كأنْ نجد بدر الدين الزركشي يتكئ في كتاباته البلاغية على ما ألفه حازم القرطاجنيّ الأندلسي، وكَأَنْ نجد شروحا على بعض الآثار الأدبية الأندلسية، كسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصري، وتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون للصفدي...

– أثر العصبية القبلية في تفضيل الشعراء:

يُروى أن عمر بن أبي ربيعة أتى الفرزدقَ فأنشده من شعره، ثم سأله: "كيف ترى شعري؟ قال: أرى شعرا حجازيّا إن أنجد اقشعرّ"[2]، أي: أنّ ألفاظه ليست بجزلة كشعر أهل نجد الذي يتسم بالمتانة والجزالة، وأطلق جرير نفس الحكم على شعر ابن أبي ربيعة حين سُئل عن شعره فقال: "هذا شعر تِهاميٌّ إذا أنجد وجد البرد"[3]؛ لأن شعره يتسم بالسلاسة وسهولة الألفاظ عكس شعر الشعراء النجديين من تميم خاصة كجرير والفرزدق وغيرهما؛ كما يمكن أنْ يكونَ في امتناع ابن أبي ربيعة عن مدح الملوك وجعل

[1]– ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، ت: جودت الركابي، دار الفكر– بيروت، ط2، 1977، ص29–30.

[2]– أبو عبد الله المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1995، ص263.

[3]– الأصفهاني: الأغاني، 91/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

شعره وقفا على الغزل سببا في هذا الانتقاص، لأن الغزل معروف برقة الألفاظ وعذوبتها وسلاستها، وأنّ أكثر الشعراء الغَزِلينَ اللاهجين بالعشق والأحاسيس الرقيقة كانوا من الحجاز من أمثال قبيلة عذرة التي ينتسب إليها عروة بن حزام أول الشعراء الغزل العذري، وجميل بن معمر، وقبيلة بني عامر التي اشتهرت بمجنون ليلى قيس بن الملوح، وقبيلة كنانة التي منها قيس بن الذريح صاحب لبنى.

في حين نجد أبا عمرو بن العلاء الذي هو من مواليد مكة التهامية يقر بأنّ "أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات، وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن: فأولها هذيل، وهي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة في السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد"[1]، ولعل هذا ما يبرر عدم احتجاجه بأشعار النجديين من التميميين من أمثال الفرزدق وجرير، واعتبار أشعارهم مولدّة، وخارجة على أصول الكلام العربي.

ولما كان النقاد الأوائل أكثرهم من أهل العراق (من البصرة أو الكوفة) أو تابعين للإيديولوجية العراقية فقد كانوا يُفضلون النسق الشعري العراقي الذي كان سياسيا ويترع في أكثره إلى المدح أو إلى الهجاء (النقائض مثلا) أو الفخر، فقد تم إقصاء الشعراء الذين لا ينظمون في هذه الأغراض، وحسب قول ابن قتيبة: "فهذا ذو الرّمّة، أحسن الناس تشبيها، وأجودهم تشبيبا، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء...، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع. وذاك أخّره عن الفحول"[2].

ومن نماذج الإيديولوجية البلاغية احتكار الشعر من طرف قبائل معينة، كاعتقاد ابن سّلام الجمحي بأن الشعر في الْجَاهِلِيَّة كان فِي ربيعَة، أَوَّلُهُمْ المهلهل والمرقشان

[1] – ابن رشيق: العمدة، 88/1 وما بعدها.

[2] – الشعر والشعراء لابن قتيبة، 95/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

(الأكبر والأصغر) وَسعد بن مَالك وطرفة بن العَبْد وَعَمْرو بن قميئة والْحَارث بن حلزة والمتلمس والأعشى وَالْمُسَيب بن علس؛ "ثمَّ تحول الشّعْر في قيس فَمنهمْ النَّابِغَة الذبياني وهم يعدون زُهَيْر بن أَبِي سلمى من عبد الله بن غطفان وَابْنه كَعْبًا ولبيد والنابغة الجعدى والحطيئة والشماخ وَأَخُوهُ مزرد وخداش بن زُهَيْر؛ ثمَّ آل (الشعرُ بعد) ذَلِك إِلَى تَمِيم فَلم يزل فيهم إِلَى الْيَوْم"[1]، ومن تميم (أوس بن حجر؛ والفرزدق؛ وجرير... وغيرهم)، ويقصد ابن سلام من وراء هذا الكلام بأنه لا يوجد شعر بعد الشعراء الذين مدحوا بني أمية، وهذا ما دعا إلى رفض الشعر المحدث وإبعاد الشعراء العباسيين من دائرة الشعر، حتى إذا أتى عبد الله بن المعتز فاعترف بأولئك الشعراء المحدثين الذين مدحوا بني العباس في طبقاته، ولا يمكننا الإنكار بأن الخطاب النقدي كانت توجهه الخلفيات السياسية، والعصبيات القبلية، كتلك التي كانت بين القبائل العدنانية (الحجازية) والقبائل القحطانية (اليمانية).

فالعدنانية ترى بأنّ العرب كلهم من وُلْدِ إسماعيل عليه السلام ما عدا جرهم وحِمْيَر اليمانية، وأنه أولّ من تكلّم العربية ونسي لسان أبيه، وبأن لسانهم العربيّ يختلف عن اللسان العربي القحطاني في اليمن وحِمْير[2]، وهذه الحجج قد يسعى أصحابُها لتكريس مركزية لغوية وبلاغية، قصد إقصاء كل لغات العرب التي لا تدخل في فلك اللسان المضري العدناني القرشي الذي يجمع لغات العرب التي نزل بها القرآن الكريم، وذلك في سياق تأويلهم لحديث الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وأن وجها من تأويله يقول بأن هذه الأحرف هي لغات العرب الناطقين باللسان المضري.

[1] – الجمحي: طبقات فحول الشعراء، 40/1.

[2] – المصدر السابق، ج1، ص9 وما بعدها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

إن هذه الأحكام التي أصدرها أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب في حقّ اللسان القحطاني اليمني – إن صحّت – لدوافع إيديولوجية وعصبية قد صارت حجة لبعض من يريد أن يطعن في صحة الشعر الذي يُنسب للشعراء القحطانيين من اليمن كامرئ القيس وغيره، بحجة أن أشعارهم شبيهة باللسان العدناني، وهذا ما فعله طه في حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) حين استثمر في هذه المقولات الإيديلوجية وطعن في صحة الشعر الجاهلي.

ولم يخل القحطانية، كذلك، من العصبية لشعرائهم، وحاولوا الترويج لإيديولوجية بلاغية لا يقبلها العقل السليم، كزعمهم بأنّ الشعر وُلد في اليمن ومات في اليمن، والواقع الشعري يفند هذا الزعم.

وقال ابن رشيق: "وقومٌ يَرَوْنَ تَقْدِمَةَ الشعرِ لليمنِ: في الجاهلية بامرئ القيس، وفي الإسلام بحسان بن ثابت، وفي المولدين بالحسن بن هانئ وأصحابه: مسلم بن الوليد، وأبي الشيص، ودعبل، وكلهم من اليمن، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين: حبيب والبحتري، ويختمون الشعر بأبي الطيب، وهو خاتمة الشعراء لا محالة وكان ينسب في كندة، وهي رواية ضعيفة، وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن جني، وإلا فكان غامض النسب، فيقولون: بُدِئَ الشِعْرُ بكِنْدَةَ يعنونَ امرأَ القيسِ وخُتِمَ بِكِنْدَةَ يَعْنُونَ أَبَا الطيّب."[1]

لقد سعى ابن رشيق إلى تفكيك هذه المقولة بإضعاف الرواية القائلة بأصول المتنبي اليمنية، وحاول الأصمعي خلخلتها وإبطالها حين قال: "إن كثيرا من شعر امرىء القيس

[1]– ابن رشيق: العمدة، 89/1.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

لصعاليك كانوا معه"[1]، وهكذا تتهافت هذه المقولة الإيديولوجية التي تجعل من الشعر حكرا على قبائل أو أقاليم معينة دون أخرى.

ومن النماذج السلبية للإيديولوجية البلاغية موقف ابن الأعرابي (الكوفيّ) حين قرأ له أحدهم أرجوزة على أنها لأحدِ رجاز هُذَيْل استحسنها ولكنه حين عرف بأن مؤلفها الحقيقي هو أبو تمام (البصريّ) أمر بتخريق وتمزيق الورقة التي كُتبت عليها الأرجوزة[2]، مما يعني بأن هنالك قوما لا تُهمّهُمْ قيمة ما أُلِّف من شعر بقدر ما تعنيهم صفة أو قبيلة مَنْ ألّفه، ولا يبعد أن يكون هذا أكبر الدوافع التي دعت بعض الرواة إلى الانتحال، فمن يهتمّ لقصيدة عصماء ألّفها حمادُ الراوية الذي لو نسبها لامرئ القيس أو لعبيد بن الأبرص لكانت خليقة بالرضا والقبول من طرف المتلقي.

وقد انتبه الجاحظ لهذه الإيديولوجية البلاغية والفكرية التي تتحكّم في الأذواق التي تُقدّمُ الأسماءَ على جودةِ ما يُكتبُ، وأبدى اندهاشه منها، وها هو يروي لنا تجربته الشخصية في اختباره للمتلقين العرب:

"وإنّي ربّما ألفتُ الكتابَ المحكمَ المتقنَ في الدِّينِ والفقهِ، والرسائلِ والسيرةِ، والخطبِ والخراجِ والأحكامِ، وسائرِ فنونِ الحكمةِ، وأنسبُه إلى نفسي، فيتواطَأُ على الطعنِ فيهِ جماعةٌ من أهل العلم، بالحسدِ المركّبِ فيهِمْ، وهُمْ يَعرفونَ براعَتَهُ ونصاعته...

وربما ألّفت الكتابَ الذي هو دونَه في معانيه وألفاظه، فأُتَرْجِمُه باسمِ غيري، وأحيله على من تقدّمني عصره مثل ابن المقفع والخليل، وسلْمٍ صاحب بيت الحكمة،

[1]– عبد الملك بن قُريب الأصمعي: فحولة الشعراء، ت: ش. توري، دار الكتاب الجديد– لبنان، ط2، 1980، ص10.

[2]– ابن سنان الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، ت: عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982، ص278–279.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

ويحيى بن خالد، والعتّابيّ، ومَنْ أشبَهَ هؤلاء من مؤلِّفي الكتب، فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذي كان أحكمَ من هذا الكتاب، لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ، ويكتبونه بخطوطهم، ويصيِّرونه إمامًا يقتدون به، ويتدارسونه بينهم، ويتأدّبون به، ويستعملون ألفاظه ومعانيه في كتبهم وخطاباتهم، ويروونه عنِّي لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة، ويأتمُّ بهم قومٌ فيه؛ لأنه لم يترجم باسمي، و لم يُنسب إلى تأليفي."[1]

وهذا يوحي بهشاشة ثقافة المؤلف عند المتلقي العربي، وإن كانت المعاصَرةُ حجابا، فإنّ مثل هذه المواقف المبنية على الحسد ورفض الآخر والقطيعة المعرفية معه لاعتبارات إيديولوجية ضيقة بعيدة عن معايير الجودة والإتقان تكشف لنا الأسباب التي جعلت منا أبعد الناس عن الحوار المعرفي البناء، فإذا كان العلم الصحيح محصورا في الأسماء القديمة والبراقة فهذا يوحي بسيطرة فكرة: "ما ترك الأول للآخر شيئا"، وهي نفس الفكرة التي هاجمها الجاحظ واجتهد في سبيل تفكيكها، معتبرا إياها مضرّة بالعلم والعلماء، ومعطلة لعجلة الفكر والإبداع[2].

والعصبية هي الحجاب الذي يعمي الناقد الحقيقي عن حقيقة الإبداع الشعري، فالتحيز وإن كان مقبولا في الأعراب الأوائل الذين كانوا يفضلون شعراءهم بعفوية فإنه مذموم في العلماء بالشعر الذين هم أولى بالتحقيق والحكم بين الشعراء بالعدل لا بما يحكمه الهوى والعصبية التي هي نقيض التحضّر.

[1]– أبو عثمان الجاحظ: رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط1964، 350/1 وما بعدها.

[2]– المصدر السابق، 103/4.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

– الخاتمـــة:

انطلاقا مما سلف يمكننا تصوّر الآثار السلبية التي خلفتها الإيديولوجية البلاغية على تراثنا النقدي والبلاغي، بحيث أسست لمواقف نقدية متحيزة تبتعد بصاحبها عن إدراك جوهر الشعر، إذ يتبنون مواقف غير معللة، وبهذا الشكل نكون قد ساهمنا إسهاما بسيطا في تعليل اللاتعليل الذي كان يتسم به بعض تراثنا النقدي والبلاغي.

وليس المقصد من هذا البحث التقليل من شأن إسهامات نقادنا القدماء في نقد الشعر بقدر ما يحاول تسليط ضوء خفيف على ظاهرة أصابت ومازالت تصيب نقدنا العربي وجعلت الخطاب النقدي يخرج عن مسعاه النبيل، فالناقد الحقيقي ينبغي أن يكون منصفا غير متحيز في أحكامه النقدية، وقد كان من نقادنا القدماء من هو منصف يحكم بالعدل في الشعر ولا يتحيز لشاعر دون شاعر إلا إذا كان يستند لمعايير فنية وتعليل نقدي مقنع، وذلك ما وجدناه في كتابات القاضي الجرجاني والآمدي وابن رشيق المسيلي وغيرهم ممن أبدعوا في نقد الشعر وأسهموا في بناء النظرية النقدية العربية.

قائمة مصادر البحث ومراجعه:

–ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ت: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1975.

–ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1978.

–ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل–لبنان، الطبعة الخامسة، 1981.

–ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، دار المدني – جدة، ط1، 1980.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

–ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، ت: جودت الركابي، دار الفكر– بيروت، ط2، 1977.

–ابن سنان الخفاجي الحلبي: سر الفصاحة، ت: عبد المتعال الصعيدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982.

–ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، دار الحديث– القاهرة، ط: 2006.

–أبو العباس المقري التلمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، ط1939.

–أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ت: إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 2008.

–أبو الفرج النهرواني: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ت: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية– لبنان، ط1، 2005.

–أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام، ت: خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير إسلام الهندي، قدّم له: أحمد أمين، منشورات دار الآفاق الجديد – بيروت، الطبعة الثالثة، 1980.

–أبو عبد الله المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1995.

–الجاحظ: البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، مكتبة خانجي – القاهرة، الطبعة السابعة، 1998.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:34 العدد:02 السنة:2020 الصفحة: 340–363 تاريخ النشر: 17–11–2020

–الجاحظ: رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط1964.

–حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط3، 1986.

–عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ت: أحمد الزعبي، دار الهدي، الجزائر، ط2009.

–عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، ت: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف– مصر، ط2، 1968.

–عبد الملك بن قُريب الأصمعي: فحولة الشعراء، ت: ش. توري، دار الكتاب الجديد– لبنان، ط2، 1980.

–المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط1، 1997.

–ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي– بيروت، ط1، 1993.

- J. A. Coddon: A Dictionary Of Literary Terms and Literary Theory, Wiley-Blackweel, UK, 4e, 2013.